صْحيحْ لا تِقسْمي . . . !

نبيل علقم

لقد اخترت مثلاً شعبياً كنت قد سمعته عشرات المرات من قبل، وسمعته مؤخراً في مناسبة طبيعية، إذ استعملته سيدة لتشكو من رئيسها في العمل، فهو يريد منها أن تقوم بأعمال تعجيزية مستحيلة. وفي هذا المثل، كما في غيره، دلالات كثيرة تستحق التأمل.

يقول المثل: "صْحيحْ لا تِقسْمي... أُومَقْسومْ لا توكْلي... أُوكُلي تَ تنسطحي!".

وتقول قصة المثل أن الحمَاة المستبدّة بزوجة الإبن (ألكنّة) أرادت أن تغادر البيت إلى الحقل، ولكنها تخشى أن تقوم كنّتها بالأكل في غيابها، فتفتق ذهنها عن هذه العبارة الآمرة التي صدرت من الحماة للكنّة، وظاهر الأمر أن الحماة لم تمنع الكنّة من الأكل لأن في ذلك مخالفة صارخة لمنطق السلوك، لكنها اشترطت شرطين تعجيزيين هما: أن لا تقسم الرغيف، وأن لا تأكل من الخبز المُقَسَّم أو الفتات أو كسرات الخبز الموجودة، وعدا ذلك يمكنها أن تأكل كما تريد حتى تنسطح معدتها أو ينسطح بطنها. وكان على الكنّة أن تستجيب للأمر فالحماة في المجتمع الذي أنتج المثل والقصة أو يتداولها، هي صاحبة سلطة على الكنائن وسائر الإناث في العائلة. وهنا تبرز أعمق دلالات المثل في موقف الكنّة، فالاستجابة الحرفية لجوهر أمر الحماة سيحرم الكنّة من الطعام. إذن، هناك مشكلة تحتاج إلى حلّ منطقي ومعقول دون أن تخالف الأمر، إذ أن مخالفته سيثير لها المتاعب مع الحماة وربما مع الزوج وسائر أعضاء العائلة. وسجلت الكنّة نجاحاً في مواجهة المشكلة بأن نفّذت الأمر في شكله، وخالفته في جوهره، فقد قوّرت الرغيف، وأكلته كله عدا الجزء الصغير من محيط الرغيف الذي بقي على شكل دائرة مُفرغة رمزاً لبقاء الرغيف على شكله، وبذلك نفّذت الكنة الأمر من الناحية الشكلية، وحلّت المشكلة من الناحية العملية.

إن هذا المثل، يعبر عن التفكير العقلاني لمواجهة المشكلة ويدعو إليه. وتبدو هذه المشكلة أن لا حلّ لها باشتراطات الحماة، ولكن الكنّة الذكية لم تهرب من المشكلة بل واجهتها، وتغلبت عليها فنجحت في الصراع مع الحماة الظالمة دون أن تبدو خارجة على شروط العلاقة المفترضة بينهما، وهي هنا علاقة صراع شديد وصل إلى درجة محاولة حرمان الكنّة من الخبز؛ وهو أهم مقومات الحياة. ولكن الكنّة التي استعملت ذكاءها انتصرت بعقلها في معركة الدفاع عن الذات.

وتساند هذا المثل مجموعة أخرى من الأمثال الشعبية التي تدعو إلى عقلانية

لقطة من مسلسل "يانون"

التفكير، ومنها: (العقل زينة واللّي عِدْمتُه حزينة) و (قلّة العقل بْتِتْعب الرِّجلين) و (من احترصْ ما انْقرص). ويستنكر المثل الشعبي الحماقة التي يردها أصحابها إلى القضاء والقدر بصورة مشوهة إذ يقول مستنكراً الحماقة: (دير ظهرك للدبابير وقول على الله التدابير!). ولا يجوز الاستهانة بالعقل في كل الأمور الصغيرة والكبيرة حتى أن الماء في البئر يحتاج هذه العقلانية في التعامل معه: (المَيَّة في البير بدْها تدبير). كما تساند الفكرة ذاتها أشكال أخرى من التراث الشعبي، ففي إحدى القصص الشعبية، يقوم الأمير بامتحان ضيوفه، وذلك بأن يضع المنسف (أو مائدة الطعام) في عمق الخيمة (أوالقصر) بحيث لا يصله الضيوف إلا بعد أن يدوسوا على بساط ممدود لمسافة بعيدة عن المائدة. ويطلب منهم الأمير أن يتقدموا لتناول الطعام دون أن يدوسوا على البساط. وتتحدى هذه المشكلة العقل، فكيف سيصلون إلى المائدة دون أن يدوسوا على البساط؟ ولكن سرعان ما وجد بطل القصة الحلّ، فطوى البساط وتقدم إلى المائدة وطلب من الآخرين أن يتبعوه، وهكذا تغلب على المشكلة مع المحافظة على شروط المضيف التي تبدو وكأنها شروط تعجيزية.

الـ (كلتشر) عدو التنمية

عارف حجاوي

قال لي زائر أوروبي: (ما أبدع الدبكة، والفلافل، وما أعظم هذا التبويس الذي نراه بين رجالكم. لا يلتقي اثنان منهم إلا دق أحدهم بالآخر بوسا. عندكم أيها الشرقيون ثقافة الملامسة الأخوية البريئة.) كل هذه الأشياء يسمونها في الغرب ثقافة، وبلغظهم (كلتشر).

لست راضيا عن هذا التعريف. سأسوق أمثلة أخرى على التعريف الأوروبي للثقافة: في بيتي الذي نشأت فيه نذم من يطبخ العكوب باللبن ذما ذريعا. ونعد العكوب المطبوخ على إدامه ثقافة بيتنا. ونعتز بهذا التميز لإنه يجعلنا نحس بالانتماء إلى بعضنا بعضا. فإذا ما خرجنا إلى بيت جيراننا وجدناهم يطبخون العكوب ، أف لهم، باللبن. وفي مدينتي عادات لا أجدها في مدن أخرى، وهي بخيرها وشرها ثقافة تلك المدينة. وفي ثقافة فلسطين المسخن والدبكة والميجنا. وفي ثقافة بلاد الشام القدود الحلبية. وفي ثقافة العالم العربي يوجد ذبح البنات لغسل آثام الذكور. كل هذه أشياء تميزنا عن غيرنا.

لكن كلمة (ثقافة) بمعناها التقليدي في اللغة العربية تعني المعرفة والتمتع بالفنون والآداب. وأحب التمسك بهذا المعنى، وأكره اقتباس تعريف الغرب لكلمة ثقافة، فهو يشعرنا بأننا متطورون لأن عندنا مآكل وأغاني وممارسات متميزة. المآكل والأغاني والممارسات المختلفة موجودة في كل بلد في الدنيا وتميز أهل ذلك البلد. الثقافة عندي هي الرقي المعرفي والتذوقي في الفنون والآداب. ونحن مقصرون في هذا كثيرا. شعراؤنا ينوحون أو يقيئون عواطف مستهلكة ويسمون ذلك شعرا، وهم مقصرون معرفيا. ورساموننا غير مهرة في تطبيق المنظورية أو الرسم الطبق–أصلي، ويهربون إلى الرسم التجريدي قائلين إن كل ما سوى ذلك متخلف. فإذا طلبت صورا إيضاحية لكتاب مدرسي لم تجد رساما يحسن أن يرسم وجها. الثقافة معرفة أولا وتذوق ثانيا. نحن لو علّمنا مئة ألف من أبنائنا الموسيقى في المدارس فلا بد أن يخرج من بينهم عبقري موسيقي ذات يوم. أما في حالتنا الحاضرة، حيث لا نكاد نجد في كل فلسطين مئة شخص يدقون على العود، فالاحتمال، رياضيا، ضعيف في أن يخرج من بينهم ملحن جيد. لا أرضى التعريف الأوروبي لكلمة ثقافة لأنه يوهمنا بأننا بألف خير. وأصر على التعريف التقليدي العربي حتى نبقى مدركين أن الثقافة تقتضي الإتقان والمعرفة قبل التذوق. قال لي أحدهم يوما: (الموسيقى بالنسبة إلي هي العتابا والشبابة، وكل ما عدا ذلك، من أم كلثوم إلى بيتهوفن، زبالة.) ولم يقف عند هذا الحد، بل زادني من الشعر بيتا، فاشترط: (أنا أرفض ما يسمى تطوير التراث.) هذا الفهم للثقافة هو فهم الأميين، والأنثروبولوجيين. وما كنت لأعترض عليه لو كنا نعيش في غابات الأمازون. ولكننا في قلب العالم، وعلينا أن نكتسب معارف وثقافات كثيرة نافعة لنا، فضلا عن تمسكنا بثقافتنا وتطويرها. إسباغ المعنى الأنثروبولوجي على كلمة ثقافة يفقدنا مصطلحا تنمويا مهما. والثقافة بعنصريها: المعرفي والتذوقي، أساس مهم في التنمية.

ثقافة الأسماء الفلسطينية

ميرفت عوف وفادي الحسني

في إحدى ممرات جامعة الأزهر سمعت صوتاً ينادي فلسطين تلفت إليها وبسرعة البرق شددت خطايا نحوها أسألها عن سبب تسميتها بفلسطين قابلت سؤالي بابتسامة، وأجابت: " حين أسماني أبي فلسطين كنا خارج البلاد مغتربين بل نازحين في تونس ونظراً لشغفه وولعه بوطنه الذي لا يضاهيه وطن أسماني فلسطين لكي لا يغيب عنه الوطن الذي آثر الرجوع إليه في أول فرصة سنحت له. لم يقتصر تخليد الأسماء فقط على الأصدقاء والأحداث النضالية الهامة في حياة الشعب الفلسطيني، فهذا مازن أحمد النجار من نابلس يطلق على أبنائه التوأم "ياسين والرنتيسي. ولا يبتعد عن أملهم كثيراً الأب محمد الذي أطلق على طفله الأخير" ياسر عرفات" والذي تزامن ميلاده مع وفاة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ، يقول الأب محمد : " أردت أن تكون ذكرى الرئيس عرفات حاضر دوماً في ذهني فأسميت طفلي باسمه وتابع أتمنى أن يكون مثله قائداً ورمزاً خالداً للشعب الفلسطيني على مر الأزمنة القادمة....وعلى الصعيد ذاته ذهب جهاد حامد الرملاوي "٣٦" عام من مخيم البريج إلى إطلاق اسم محمود عباس على المولود الجديد، الذي وضعته زوجته بعيد وقت قصير من إعلان نتائج الانتخابات الرئاسية والتي أسفرت عن فوز السيد محمود عباس، ليصبح اسم المولود "محمود عباس جهاد الرملاوي". وللمعاناة أيضاً نصيب نؤرخ لها بأسماء أطفالنا فهذا الطفل معبر اسم ليس كغير في فلسطين بل يكاد لا يكون له اثنان في الدنيا، فهو يحمل ذكرى معاناة قاسية كابدتها أمه منى زكريا الأسطل (٣٢عاماً) التي كانت عالقة مع آلاف الفلسطينيين عند معبر رفح الحدودي، هناك حين وضعت منى الأسطل مولودها الجديد آثرت أن تخلد معاناتها هناك باسمه فكان الخيار الوحيد معبر محمد الأسطل، تخليداً لذكرى المعاناة والألم والعذاب التي عاشتها أمه وأربعة آلاف فلسطيني آخرين احتجزوا قرابة الشهر عند الحدود المغلقة.لم تكن هذه الأم الوحيدة التي جسدت معاناتها في اسم طفلها فكثيراً منهن أطلقن على أطفالهن أسماء مشابه فهذه نور النجار أطلقت على وليدها اسم حاجز حيث أنها وضعته على حاجز المواصي بخان يونس عندما رفضت قوات الاحتلال المتمركزة هناك مرورها إلى مستشفى "مبارك" بالمدينة لتضع طفلها على أسرة المستشفي كأي أم تضع وليدها طبيعياً لقد تركوها تتألم قرابة الخمس ساعات وعندما سنحوا لها بالعبور كانت قد ضعته على أرضية السيارة التي كانت تقلها لذلك خلدت الذكري باسمه...

مروان.ح "٤٢ عاماً " من غزة أطلق على أطفاله أسماءً تعينه على تخليد أحداثا هزت العالم، يقول مروان " في حرب الخليج شاء الله أن أرزق بصبي، حينها لم أحتر كثيراً في تسميته، أطلقت عليه اسم صدام تيمناً باسم الرئيس العراقي صدام حسين"، ويضيف كل أسماء أبنائي تحمل معان للنضال الفلسطيني فهذا طفلي الأخير جاهدت في تسميته "انتفاضة" إلا أن اعتراض الأسرة حال دون ذلك فأسميته "منتفض" ليدل على حدث تاريخي غير مجرى حياة الشعب الفلسطيني. تركنا الأب متوجهين إلى الطفلين صدام ومنتفض لنعلم مدى رضاهم أو عدمه عن أسمائهم فقالوا بابتسامة بريئة نحب أسماءنا ونفخر أننا نحملها وتابع أتمنى أن أكون كصدام في قوته وصلابة إرادته أما منتفض فهو سعيد جداً باسمه لأنه يبث فيه روح المقاومة والتضحية.

وحول اسباب ثقافة التسميات في المجتمع الفلسطيني ، يقول أيمن عبد المجيد، الباحث في برنامج دراسات التنمية، أن ثقافة الأسماء مرتبطة بعدة أبعاد و تحمل معاني ودلالات ثقافية، اجتماعية، سياسية ودينية، وحول الأبعاد الثقافية يمكن الحديث عن أربعة أبعاد رئيسية وهي:

١- الثقافي الوطني: الاسماء المرتبطة باسماء القادة والشهداء.

٢- الثقافي الاجتماعي: الاسماء المرتبطة بالعائلة(الجد، الجدة، أو أحد الاقرباء)، أو أسماء من التراث أو الدين.

٣- الثقافي الأممي: اسماء مرتبطة ببعد عالمي ثورية أو نضالية عالمية.

٤- الثقافي المعولم: ظهور أسماء جديدة مستحدثة كنتيجة للانفتاح الثقافي.

نكشات تنموية

عماد موسى

مثقف تنموي

سأل غشيم في التنمية الثقافية مثقفا تنمويا عن أصول الكتابة في التنمية؟فأجاب المثقف:بادئ ذي بدء عليك أن تختار عنوانا متضمنا لأحد مشتقات التنمية وأن تحرص على توظيف بقية المشتقات التنموية في مقالتك،فلا تدخر وسعا في استعمال(النمائية،والإنمائية والنائمة والمستنيمة، والمنامة والمستديمة والمستدامة،والنمو،والنواميات،...) عندئذ تصبح كاتبا مختصا في الحقول التنموية المختلفة، وبعد ذلك يمكنك الحصول على جائزة المقال التنموي من أحد المراكز التنموية، واختم نصيحتي قائلا: جوابي دواء لمن أراد الدواء وهو لكل عيي في التنمية شفاء.

أشعب كبير المطاردين

كان في قديم الزمان رجل يدعى أشعب الأكول، وكان يطارد اللحم والثريد فيصيب منه مغنما، ولما شحت الموائد فكر بالانتقال عبر الزمن من ماضيه البائد إلى حاضرنا السائد، ليجد نفسه كبير المطاردين بضم الميم وكسر الطاء لكل مؤتمر تنوي وضاء، وحتى أنه لم يفوت فرصة لمؤتمر حول التشريع أو القضاء أو ورشة عمل تعالج قضايا الطفل مع النساء، فلما استغرب حاذق هذا السلوك، التفت إليه وهو يعلك ويلوك ويملء شدقيه قال:الدعوة عامة،فإن لم أشارك تكون عليكم طامة فمن أين تأتون بالجمهور لتسمعوه في مرح وحبور كلاما عن التنمية وعن الديمقراطية والقضايا الانتخابية والبطالة العمالية، فأنا بلا حسد وجدت في كل ما تفعلونه تنمويا لأنه بالدسم وبالفيتامينات غنيا، فآكل وأنام وأذكر ما شئت من حلو الكلام فأشبع معدتي وأحسن ثقافتي، وأجدول الدعوات حسب أهميتها، حتى لا يعتب علينا عاتب من الجهة الداعية أو الجهة الراعية أو المتحدثين ،فنحن للثقافة مطاردين حتى نصبح في مجتمعنا تنمويين، فهل تغضب؟

تمنية بالمتر المقدم

برزت في مجتمعنا ظاهرة تنموية أسمها التنمية بالمتر المقدم وهي أن يلجأ الشخص إلى جهة ما للحصول على سنوات الخدمة في مؤسسة غير موجودة، وقبل أن تأتي إلى الوطن السلطة المولودة،فيحصل هذا الشخص المحظي على سنوات خدمة وهمية من جهة حزبية أوعشيرية بحيث تكون ضعف عمره الفعلي من أجل أن يحصل على درجة رفيعة تمكنه من المساهمة في رفد التنمية البشرية بكوادر ذات خبرات تنموية حصلت عليها بالمتر المقدم.

تشريعات تنموية

في كل الدول العصرية لا الحصرية، يشرع البرلمان لمن يأتي بعده إلا البرلمان الفلسطيني العتيد الذي أحب رياضة التمديد ويفكر في سن قانون انتخابي لضمان التجديد حتى يسهم أعضاء المجلس في التنمية الجيبية، ولاستكمال حمل أمانة التشريع خصوصا قانون تقاعدهم لأن من بعدهم إن هم ذهبوا فالمجلس المنتخب الجديد سيرسل ما أرسوه من ديمقراطية إلى قفص من حديد ولأن التغيير والتجديد سمة فيهما الصدأ والصديد، وحتى لا ينصرف النواب الجدد إلى معالجة القضايا بالرتق والترقيع كان لزاما علينا أن نعيد انتخابهم ليعودوا إلى قبة التشريع.

الاستعارة الفكرية

مفهوم الاستعارة في علم البيان أن تستعير شيئا لشيء أو من أحد لوازمه فيسم الأول مستعار له والثاني مستعار منه، وتقول: استعرت كاتبا أي أنك حصلت على كتاب ليس لك وليس ملكك وعليك أن تعيده إلى صاحبه أو إلى المكتبة، فالاستعارة مؤقتة لا دائمة، وقد أطلق النقاد على أولئك الذين يستعيرون من شعر غيرهم أو بعضا من صورهم أو تشبيهاتهم أو أفكارهم بسراق الشعر أو الأدب وعلى هذه الظاهرة بالسرقات الشعرية أو الأدبية، ومع تطور الحضارات وكثرة الإبداع الفكري والاختراعات ظهرت في العامل قوانين الحماية الفكرية. ولكن بعض الصحافيين وبعض الكتاب الميامين لا يحتفلون بهذه الأعراف ولا يقيمون وزنا للحقوق الفكرية فهم يهجمون على أفكار الغير لتصبح جزءا من مقالاتهم فلا يشيرون إلى الكاتب أو المصدر فهم من ذلك أكبر فحتى لا يفقد الكاتب برستيجه يتعمد في إخفاء المستعار منه ليحافظ على المستعار له ألا وهو الكاتب.